تـمّ تحميـل هـذا الملـفّ مـن مكتبـة الأديـب الرّاحـل رمضـان لاونـد | جميـع الحقـوق محفوظـة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

نحن نقص عليك أحسن القصص

النبي ذو الكفل عليه السلام

الراوي : نبي مكافح عاش حياته كلها في نضال مستمر من أجل الرسالة النبوية التي حمّلها الله إياها وقد بلغ سنة الخامسة والتسعين وهو يقوم الليل ويصوم النهار عابداً راكعاً ساجداً لا يعصي الله ما أمره ويفعل ما يؤمر به . هذا النبي هو ذو الكفل عليه السلام . لقد كانت حياة هذا النبي الكريم نموذجاً كاملاً ورائعاً للانسان الذى وضع دنياه كلها في خدمة آخرته . فكان من المتقين .

حركة سوق .. وتجارة .. مؤثرات البياعين إلخ .....

عبد الله : إلى أين يا **محمود** ؟

محمود : من ؟ **عبد الله** .

عبد الله : وأخيراً وقعت عليك.. أين أنت في هذه الأيام ؟

محمود : أية أيام تعني ؟

عبد الله : أيامنا اليوم..

محمود : أقضي النهار في التجارة وأول الليل في مجلس من مجالس الذكر وآخره في الفراش .

عبد الله : أما تزال من رواد مجالس الذكر .

محمود : لم أغير شيئاً من عادتي .

عبد الله : ولكن مجالس الذكر على الطريقة التي أعرفها لم تعد من هذا العصر الحديث .

محمود : ماذا تقصد؟

عبد الله : لا أقصد شيئاً سوى أن هذه المجالس لا تصلح لتوسيع المدارك ونقل العلم الحقيقي إلى الناس .

محمود : إلا مجالسنا نحن .

عبد الله : ولماذا هذا الاستثناء ؟

محمود : ما عليك إلا أن تحضر واحداً منها مرة واحدة فإمّا تعود وإما تنكرها علينا ؟

عبد الله : أنا أعرف ما في هذه المجالس . اسمع يا عزيزى في رأيي أن ساعة علم خير من عبادة ستين عاما.

محمود : فما رأيك لو أن مجلس الذكر هذا قد أصبح مجلس علم ومعرفة .

عبد الله : يتغير موقفي منه.

محمود : إذن تعال معي مرة واحدة ثم تحكم بنفسك .

عبد الله : أذهب إن شاء الله .

محمود : الآن نذهب ..

عبد الله : الآن ...

محمود : ولعل الأخوة قد بدأوا مجلس الذكر ..

عبد الله : هيا بنا إليهم ..

الشيخ : (في مجلس الذكر) ... "لا اله إلا الله" محددة مرة واحدة.. " لا اله إلا الله " سبع مرات كثيرة.. ثم يعود فيقول "الله" محدودة مرة وببطء ثم يسرع بها شيئا فشيئاً.. كلها كررها على لسانه.

ثم ينخفض الصوت .....

عبد الله : هل نستطيع أن نوجه أسئلة معينة إلى الشيخ .

محمود : اسأله ما تشاء . فهو كبير علماء هذه المدينة .

عبد الله : حسناً .

محمود : أعتقد انهم انتهوا تقريباً من مرحلة الذكر .

عبد الله : وماذا يجري بعد ذلك؟ .

محمود : ينعقد مجلس العلم .

ينقطع صوت الذكر شيئاً فشيئاً .....

الشيخ : أيها المسلمون اذكروا الله كثيراً واعبدوه في العشيّ والآصال . نحن وأنتم مسؤولون عن أنفسنا وعن كل من نرعاه من النساء ابتداء من زوجاتنا وأولادنا في البيوت وانتهاء بطلابنا ورعايانا في المدارس والحكم . كلكم راع ومسؤول عن رعيته.

عبد الله : سيدي الشيخ .

الشيخ : نعم أيها الفتى ..

عبد الله : كيف يرى سيدي الشيخ أن تكون مجالس الذكر ؟

الشيخ : رأيي أن تكون على الصورة التي تشهدها في هذا المجلس .

عبد الله : قيل لي أن لك في كل مجلس موضوعاً جديداً تناقشه .

الشيخ : وهل تزورنا لأول مرة ؟

عبد الله : نعم يا سيدي الشيخ .

الشيخ : إذن اعلم يا بني أننا سنرجع بكم في مجلسنا هذا إلى ألوف خلت من السنين .

عبد الله : إنها حالة بعيدة جدا .

الشيخ : سنحدثكم عن النبي ذو الكفل.. بشر به أيوب الصابر الذي بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى الروم.

عبد الله : وما هي حكاية هذا النبي عليه السلام ؟

الشيخ : كان ذلك في أزمان ماضية ، وكانت اسرائيل شأنها في كل فترة من فترات التاريخ تستقبل الأنبياء وتقتلهم بعد ذلك . في تلك الأزمان البعيدة قدر الله أن يكون ولد نبيه الصابر أيوب ، نبيا آخر.. وفي صباح يوم من الأيام والدنيا ممطرة والهواء عاصف بدأت حكاية النبي الابن ذي الكفل عليه السلام .

مؤثـرات إنتقاليـــة .....

انطونيوس : هل كنت في مجلس الليلة الماضية يا **جرجيس** .

جرجيس : هل تقصد مجلس **ميخائيل؟** .

انطونيوس : هو ذاك .

جرجيس : نعم كنت هناك واستمعت إلى حديث النبي الجديد ذي الكفل .

انطونيوس : وإلام يدعو هذا النبي ؟

جرجيس : إنه يدعو الى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد .

انطونيوس : وهل ينتظر من القوم أن يخرجوا عن أوثانهم وأصنامهم إكراما لدعوته ...

جرجيس : ولما لا يخرجون عنها؟ إن أفكاره بسيطة وواضحة . وإنه أعجوبة صادقة مخلصة .

انطونيوس : لعله ملّ من المجلس الأول .

جرجيس : الحق أنه ساحر ولكن سحره هو السحر الحلال .

انطونيوس : وهل هناك سحر حلال وسحر حرام .

جرجيس : طبعا .. هناك سحر أسود يستعمله المجرمون سلاحاً ضد الناس . وهناك سحر أبيض يستعمله الطيبون في سبيل خير الناس . الأولون يبنون الحقد ويوزعون الضغائن والثانون يوزعون المحبة ويبنون النبل والصفح الكريم .

انطونيوس : لقد بدأت تسحرني يا **جرجيس** . فحدثني عن هذا النبي .

جرجيس : إنه ربع القامة وأقرب إلى الطول منه إلى القصر . أبيض الوجه أشقر الشعر في وجنتيه غمازاتان.. كلامه فصيح وإشارته واضحة صادقة لا تكذب . هادئ لا يغضب . طيب لا يحقد . قوي الذاكرة . إنه بإخلاصه نموذج لإنسان ذكي كريم ذي مروءة .

انطونيوس : وكيف جاءته النبوة؟ .

جرجيس : قيل والعهدة للراوي أن نبياً من الأنبياء قال : من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب؟ فقام شاب قال أنا . فقال له اجلس . وتكرر هذا المشهد ثلاث مرات . ثم مات هذا النبي وجلس ذلك الشاب مكانه فعرف بذي الكفل .

انطونيوس : أعتقد أن هذه خرافة .

جرجيس : وأنا أشاركك في هذا الرأي .

انطونيوس : إذن ما هي قصة نبوته الحقيقية .

جرجيس : الرأي الآخر يقول ولعله الرأي الأصح أن النبي ذا الكفل الذي يعيش بين ظهرانينا هو ابن النبي أيوب الصابر عليه السلام ..

انطونيوس : لقد أحببت الاستماع إلى حديثه .

جرجيس : وما الذي يعنيك من ذلك؟ .

انطونيوس : هل ينعقد مجلس النبي في كل ليلة .

جرجيس : نعم إنه ينعقد كل ليلة .

انطونيوس : إذن نذهب إليه الليلة لأرى رأيي فيما يقوله ..

مؤثرات انتقاليـــة .....

الكاهن : ما النبأ الذي سمعته عنك يا **انطونيوس** ..

انطونيوس : وما ذاك يا سيدي **الكاهن** .

الكاهن : قيل لي أنك من أتباع النبي ذا الكفل .

انطونيوس : الحقيقة أنني به معجب .

الكاهن : هل يعني لك أنك تركت دين آبائك وأجدادك .

انطونيوس : لم أفعل بعد...

الكاهن : في جوابك بعض من الفتور ..

انطونيوس : سيدي **الكاهن** إن الله قد اعطانا العقل والقلب للتسع بهما آفاقنا ولنتعرف بها إلى كل جديد . الحقيقة ليست وقفاً على انسان معين . ما لم يكن هذا الانسان الممثل الحقيقي لإرادة الله .

الكاهن : إذن فأنت غير مطمئن إلى صدق تمثيل الكهانة لإرادة الآلهة ؟

انطونيوس : سيدي **الكاهن** أنا مقتنع اقتناعاً تاماً بأن هناك إلهاً واحداً لا آلهة .

الكاهن : هذا تجديف وانحراف عن آلهتنا .

انطونيوس : هذا هو رأيي يا سيدي **الكاهن** .

الكاهن : أراك تكرر كلمة " سيدي " ..أترى نعمتي وحفظي عليك؟ ..

انطونيوس : النبي ذو الكفل هو الذي علمنا احترام الانسان وتكريم الانسانية .

الكاهن : هوهوهو ... دائما ذو الكفل .. هو علمك .. وهو دلك على الطريق المستقيم ... وهو الذي صنع لك أخلاقك . وبعد ؟ وماذا بقي عندك ولم يصنعه النبي ذا الكفل ...

انطونيوس : لا تغضب أيها **الكاهن** . إنني لن أغادر هذا المكان ، يهمني أن أقول لك . الحقيقة ليست في الأبنية العالية ذات المحاريب والأصنام والقبب الرائعة ، الحقيقة هي أن الانسان تنعكس بساطته في عينيه ولفتاته وسلوكه والكلام الذي يتردد على لسانه ...

الكاهن : اغرب عن وجهي أنت وحقارتك ..

مؤثرات انتقاليـــة .....

جرجيس : هل صحيح أنك قد أغضبت **الكاهن** الأكبر ..؟

انطونيوس : أنا لم أغاضبه ولكنه هو الذي غضب ..

جرجيس : كان الأولى بك ألا تجتمع إليه ولا تحدثه ..

انطونيوس : ولماذا ؟

جرجيس : لأنه لا فائدة من مثل هذه المحاولة ..

انطونيوس : أليس من أنه انسان من الناس ...

جرجيس : طبعا . ولكنه صاحب مصلحة . وصاحب المصلحة لا يناقش الأمر إلا من خلال مصلحته..

انطونيوس : المهم .. ما هذا الذي سمعته عن جماعتنا ..

جرجيس : وماذا سمعت ؟

انطونيوس : سمعت أنهم رفضوا التطوع للقتال في سبيل الله ..

جرجيس : إنهم لم يرفضوا بصراحة . ولكنهم جبنوا وصفعوا وحسب ..

انطونيوس : وشيء آخر أيضا ..

جرجيس : وما هو ؟

انطونيوس : قيل لي أنهم سألوه أن يدعوا الله لهم فيطيل أعمارهم ويجنبهم مهالك الحرب .. رفضوا دعوته للموت ، بدعوى أنهم يحبون الحياة ويكرهون الموت ..

جرجيس : أمّا هذا فصحيح ..

انطونيوس : وهل سيبقون أحياء يتوالدون أبداً الآبدين ..

جرجيس : يبدو ذلك . وهي تجربة ولا بد وأن تعاني آثارها ونتائجها ...

انطونيوس : أما هذه فعجيبة العجائب ...

جرجيس : تعال .. تعال بنا .. ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد ..

مؤثرات انتقاليـــة .....

صراخ وبكاء ... وضجيج عظيـــم ..

انطونيوس : هل بدأت نتائج الاستجابة الإلهية تظهر ؟

جرجيس : ليس المسؤول بأعلم من السائل .. فأنت ترى ما أراه ..

انطونيوس : ولكن هذا شيء رهيب ..

جرجيس : ملايين تتزاحم .. الواحد منهم لا يكاد يجد مواطئاً لقدميه.. إنه يوم الحشر .بل هو أشد رهبة من يوم القيامة.

انطونيوس : صدقت يا **جرجيس**.. إنّ استجابة الله لدعاء مؤمن لم تكن في صالحهم أبدا .

جرجيس : ولئن تركوا على هذه الحالة فسيأتي يوم يتراخون فيه بعضهم فوق البعض الآخر ...

انطونيوس : تعال نبتعد عنهم .. ونبحث عن مكان مرتفع يعزلنا عن هذه الجماهير التي تبدو المدينة معها وكأنها قفير من النحل ..

جرجيس : الآن أدركنا فضيلة الموت ..ومحاسبة البشرية ..

انطونيوس : الحق أن الله سبحانه وتعالى لا يصدر عنه إلا الخير . وهو يرى ما لا نراه ..

جرجيس : كل الناس ظنوا في البداية أن الله قد اعطاهم شيئاً لا يقدر بثمن حين وعدهم بالخلود في الدنيا ..

انطونيوس : لن تتخلص هذه الأرض من تراكم الناس فوقها إلا بريح صرصر عاتية أو بزلزال رهيب . ومهما يكن الأمر فالهرب من هذه المنطقة هو خير ما يجب أن نفعله ..

مؤثرات إنتقاليـــة .....

الشيخ : أيها المسلمون .. وقضى النبي ذو الكفل بقية عمره يدعو إلى الله بالتي هي أحسن بعد أن عادت إلى الناس آجالهم ..

عبد الله : وكيف عادت آجالهم .

محمود : هل ماتوا جميعهم؟ ..

الشيخ : لقد مات منهم من كان كتب عليه الموت في اللوح المحفوظ ...

عبد الله : ألا يجوز أن يكون ما جرى حلماً من أحلام التاريخ .

الشيخ : ولكن التاريخ يا بني هو في الحقيقة حلم ولكنه حلم كبير ..

محمود : في بعض أجزائه كوابيس .. وفي بعضها الآخر ربيع وقصور وأمنيات جميلة . أليس كذلك يا سيدي الشيخ ..

الشيخ : أحسنت يا **محمود** ..

عبد الله : هل يمكن لسيدي الشيخ أن يلخص لنا مجلس الليلة ..

الشيخ : طبعا يا بني .. الذي يلخصه هو حديث مسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع .. والموت واقع وسنة .. والآجال وقائع وسنة .. والدنيا دول يوم لك ويوم عليك .. وتلك الأيام نتداولها بين الناس ...

لراوي : هكذا كانت نبوة ذي الكفل عليه السلام تجربة فريدة من نوعها ، لقد وضعت الإنسان أمام القانون الأزلي الذي صنعته العناية الإلهية .. كان ذو الكفل عليه السلام معلماً لقومه أعطاهم من الدروس ما لا يضلون معه أبداً ...

انتهـــى ...